سلسلة تفريغات شبكة بينونة

@baynoonanet

بيوت مطمئنة

الشيخ
د. هشام بن خليل الحوسني

قام بها فريق التفريغ في
شبكة بينونة للعلوم الشرعية

www.baynoona.net

بسم الله الرحمن الرحيم

يسر شبكة بينونة للعلوم الشرعية أن تقدم لكم
تفريغًا لمحاضرة بعنوان

"بيوت مطمئنة"

ألقاها الشيخ

د. هشام بن خليل الحوسني

-حفظه الله تعالى-

نسأل الله –سبحانه وتعالى- أن ينفع به الجميع
قام بها فريق التفريغ
بشبكة بينونة للعلوم الشرعية

جميع الحقوق محفوظة

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن نبينا محمد عبده ورسوله صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرًا.

ثم أما بعد:

فأُرحب بالإخوة جميعًا وأشكر القائمين على هذا المركز المبارك، وأشكر جميع من ساهم في إقامة مثل هذه المحاضرات وهذه الندوات، التي نسأل الله -سبحانه وتعالى- أن تكون في موازين حسناتهم، وأن ينفع بها المتكلم والسامع، هذا وبالله التوفيق.

موضوع حديثنا في هذه الليلة بإذن الله -تعالى- عن "**بيوت مطمئنة**"، ما من مسلم وما من عاقل إلا ويسعى في تحصيل ما ينفعه ودفع ما يضره؛ فالعاقل بطبيعته يبحث عن صلاح نفسه وصلاح أسرته وصلاح مجتمعه، والمجتمع يتكوّن من أسر ولا يصلح المجتمع إلا بصلاح هذه الأسر.

فالأسرة هي كما يقولون: نواة المجتمع؛ فإذا صلُحت صلُح المجتمع، وإنْ داخلها شيء أثّر في صلاح هذا المجتمع.

فلابد أيها الإخوة أن نتعرف على ما يكون به صلاح واطمئنان واستقرار هذه الأسر، وقد سلك الناس في سبيل اطمئنان أسرهم واستقرارها وسعادتها وجلب ما ينفعها وسائل شتى.

فمن الناس من قد يظن أن الاستقرار والطمأنينة إنما يكون بالمال، ومنهم من قد يظن أنه يكون بالجاه والمنصب، ومنهم من يظن أنه بكثرة الولد، ومنهم من يقول: أنه يكون بالإيمان والعمل الصالح والعلم النافع، فلابد أن يبحث العاقل عما يكون به صلاح أسرته وطمأنينة بيته واستقرار نفسه.

والأسباب التي تدعو المسلم لمثل هذه الأمور كثيرة وكبيرة، بينها أهل العلم –جزاهم الله خيرًا– في كتبهم وفي محاضراتهم وفي ندواتهم وأكثروا الكلام فيها وأعادوه –فجزاهم الله خيرًا–، والسعادة أيها الإخوة والطمأنينة إنما تكون على قسمين اثنين:

طمأنينة مؤقتة دنيوية، وطمأنينة دائمة أخروية وكلاهما متلازمتان، وكما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمة الله عليه–: "إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة". إشارة منه –رحمة الله عليه– إلى أن المسلم يسعد في هذه الدنيا ولا يمنع من ذلك وكذلك ينال السعادة الأبدية الكاملة في الآخرة بفضل من الله ورحمة. فيا تُرى ما هي الأسباب التي تدعو لاطمئنان هذه الأسر واستقرارها وثباتها وصلاح أمرها.

ذكر أهل العلم –رحمة الله عليهم– في هذا الباب أمورًا كثيرة نجملها في بعض هذه الأمور، فمن أعظم هذه الأسباب التي بينتها الشريعة هو: الإيمان بالله –عز وجل– والعمل الصالح.

يقول الله –سبحانه وتعالى– في كتابه الكريم ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ﴾ [النحل:97] ما جزاؤه؟ ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97].

نبّه الله –سبحانه وتعالى– في هذه الآية الكريمة إلى أمرين اثنين، الإيمان بالله –عز وجل– والعمل الصالح، إشارة إلى الإخلاص لله –سبحانه وتعالى– واقتفاء سُنة المصطفى –صلى الله عليه وسلم– والناس في الإيمان بالله –عز وجل– على مشارب وعلى أنواع شتى، فالله –سبحانه وتعالى– قد تكفّل لمن آمن به وعمل صالحا أن يحييه حياة طيبة ويجزيه أجره بأحسن ما كانوا يعملون.

والنبي –صلى الله عليه وسلم– بيّن هذا الأمر في سُنّته –صلى الله عليه وسلم– فبيّن –عليه الصلاة والسلام– « لا يُصيبُ المرءَ المؤمنَ مِن نصَبٍ ولا وصَبٍ ولا هَمٍّ ولا حزنٍ ولا غمٍّ ولا أذًى حتَّى الشوكةُ يُشاكُها إلَّا كفَّر اللهُ عنه بها خطاياه »[1].

وقال –صلى الله عليه وسلم–: « عجبًا لأمرِ المؤمنِ . إن أمرَه كلَّه خيرٌ . وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمنِ . إن أصابته سراءُ شكرَ . فكان خيرًا له . وإن أصابته ضراءُ صبر . فكان خيرًا له »[2]. فالنبي –صلى الله عليه وسلم– يبين في حديثه هذا أن المسلم مهما كانت حاله سواء كان في حالة السراء أو في حالة الضراء فإن حاله كله خير، وليس ذلك يقول النبي –صلى الله عليه وسلم– « وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمنِ » لماذا؟ لأنه يعيش مقتنعًا راضيًا بما يقدره الله –عز وجل– له ويعلم أن ما قدره الله –عز وجل– له وقضاه له فهو الذي فيه الخير، فيعيش باطمئنان ويعيش باستقرار، لا كمن يصب جام غضبه "كما يقولون" على أسرته؛ ويعني قد يتلفظ بألفاظ غليظة وبألفاظ لا تليق لجرّاء مصيبة قد حصلت له أو حصل له ما قد يحصل فيلقي باللوم دائما أنتم كنتم السبب وأنتم كذا، وأنتم كذا فتراه في توتر وفي قلق وعدم اطمئنان.

وهذا لا شك أنه ينعكس على ماذا؟ على الأسرة، فإن كان الأب والمربي والأم والمربية إن كانوا هم الذين يزرعون الطمأنينة والإيمان والثقة بالله –سبحانه وتعالى– في نفوس الأبناء فأبشر بمثل هذا البيت الذي ينشأ على الطمأنينة والاستقرار والهدوء والرضا بما يقدره الله –سبحانه وتعالى– لهم.

وكما تعلمون –بارك الله فيكم– أن الحياة لا تخلو من المنغصات والمكدّرات فليس هناك حياة صافية من الكدر ومن الشوائب أبدا، فلابد من وجود شيءٍ من هذا الكدر وهذه المنغصات.

---

[1] صحيح ابن حبان (2905).

[2] صحيح مسلم (2999).

فكيف يتعامل معها رب الأسرة؟ كيف تتعامل معها المرأة الصالحة؟ لابد أن يمتثل كل واحد منهم شرع النبي -صلى الله عليه وسلم- وهذا الدين الحنيف الذي بيّن فيه لنا النبي -صلى الله عليه وسلم-: « عجبًا لأمرِ المؤمنِ . إن أمرَه كلَّه خيرٌ . وليس ذاك لأحدٍ إلا للمؤمنِ . إن أصابته سراءُ شكرَ . فكان خيرًا له . وإن أصابته ضراءُ صبر . فكان خيرًا له »[1].

يقول بعض السلف -رضوان الله عليهم- وهو فيما فيه من الإقبال على الله -عز وجل- والتقرب إليه يقول: إنه لَيَمُرّ بالقلب أوقات أقول فيها إن كان أهل الجنة فيما أنا فيه فيا له من عيش رغيد أو كما قال -رحمه الله- فالمؤمن إذا أقبل على الله -سبحانه وتعالى-، واتبع شرع النبي -صلى الله عليه وسلم- فليُبشر كما أخبر الله -عز وجل- بحياة طيبة حياة هانئة يسودها الإيمان ويسودها الطمأنينة والاستقرار كما أخبر الله -عز وجل-: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:97].

يقول ابن القيم -رحمة الله عليه-: "في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله -عز وجل-، وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأُنْسُ بالله -عز وجل-، وفيه حزن لا يذهب هذا الحزن إلا بمعرفة ربه وصدق معاملته"

هكذا عرف الصالحون وعرف المخلصون معنى الطمأنينة ومعنى الاستقرار وكلنا يقرأ في كتاب الله -عز وجل- الوصايا الحكيمة التي بينها ربنا -سبحانه وتعالى- في كتابه الكريم كما حكاها وبيّنها عن لقمان الحكيم في نصيحته ووعظه لولده وهو يعظه ويبين له ما يجب عليه.

فيقول: ﴿يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان:16].

---

[1] صحيح مسلم (2999).

انظر إلى هذا الحكيم يغرس الإيمان في نفس هذا الصبي ويعلمه منذ نعومة أظفاره معنى الإيمان، ومعنى التسليم لله –سبحانه وتعالى– ومعنى الإيمان بأسماء الله –عز وجل– وصفاته.

﴿إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ﴾[لقمان:16]، يبيّن له عظم قدرة الله – سبحانه وتعالى– وعلمه واطلاعه –سبحانه وتعالى– حتى ينغرس في نفس هذا الطفل الصغير معنى الإيمان بأسماء الله –عز وجل– معنى الإيمان بالله –عز وجل–.

وانظر إلى نبينا –صلى الله عليه وسلم– وهو يعلم الصحابة –رضوان الله عليهم–ويعلم أبناء الصحابة وأطفال الصحابة –رضوان الله عليهم– يعلمهم ويغرس هذا المعنى في نفوس أطفالهم.

فيقول لابن عباس –رضي الله عنه– وهو خلْفه رديفه –صلى الله عليه وسلم– فيقول: «يَا غُلامُ إِنِّي أُعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ» انظر النبي –صلى الله عليه وسلم– يخاطب طفلا صغيرًا فيقول له ماذا؟

«يَا غُلامُ إِنِّي أُعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ» ينتبه معه هذا الصبي وهذا الطفل الذي يشاء الله –عز وجل– أن يكون حبر هذه الأمة وعالمها ابن عباس –رضي الله عنه وعن أبيه–فيغرس النبي – صلى الله وعليه وسلم– هذه المفاهيم الإيمانية في نفس هذا الصبي الصغير فيقول: «يَا غُلامُ إِنِّي أُعلِّمُكَ كَلِمَاتٍ»؛ يعني انتبه معي، ما هي هذه الكلمات؟ « احفَظِ اللهَ يحفَظْك ، احفَظِ اللهَ تجِدْه تُجاهَك ، إذا سألتَ فاسألِ اللهَ ، وإذا استعنْتَ فاستعِنْ باللهِ »[1].

إخوتي –بارك الله فيكم– تنبّهوا لفعل النبي –صلى الله عليه وسلم– من منا؟ لا نقول من، وهم يعني ولله الحمد قلة من قد يفعل هذا الأمر، من منا إنْ جاء له الطفل الصغير جاء الوالد إلى بيته متعبا منهكا من عمله وجاء إليه هذا الطفل ولده الصغير يأتي إليه ويجلس بجانبه من منا يجلس ويكلمه بمثل هذا الكلام، الغالب علينا إلا ما رحم الله يقول: ابتعد عني الآن، أنا متعب، أنا مشغول، أنا غير متفرغ الآن لكلامك، قد يسفّه هذا الطفل وهذا الغلام

[1] سنن الترمذي (2516).

الذي جاء إليه ليحاوره ويناقشه أو يتكلم معه باعتباره إنه مثله الأعلى والده، مَنْ مِن الأمهات لا نلقي باللوم دائما على الرجال؛ فالنساء كذلك تتحمل شيء من هذه الأمور، مَنْ مِن النساء تغرس في نفس ابنها أو ابنتها مثل هذه المفاهيم؟

لا نستهين ولا نستحقر مثل هذا الطفل الصغير أبدا، فكم من طفلٌ صغير تغرس فيه من هذه المفاهيم الإيمانية فينشأ عليها، اليوم كثيرٌ منا يشتكي مثلا أنّ الأطفال في غياب والدهم يفعلون كذا وكذا، سؤال نسألهم، ماذا غرست أنت فيهم؟ هل عالجت أنت بنفسك مثل هذه الأمور؟ نقول: قليل بل أقل أحيانا من القليل من يركز على هذه الجوانب، لا بأس أن يقوم البعض بتعليم أولاده أو يكِلْ هذا الأمر إلى معلم أو مربي ولا إشكال في مثل هذا، ولكن نقول الأب والأم ما دوركما؟ ألستما تسعيان في سبيل صلاح هذه الأسرة؟ وفي سبيل طمأنينة هذه الأسرة؟ هذه وسيلة عظيمة؛ من أسباب ماذا؟ طمأنينة هذه الأسرة وصلاحها واستقرار حالها.

نغرس في نفوس أبناءنا « يا غلامُ ، إني أعلِّمُك كلماتٍ : احفَظِ اللهَ يحفَظْك»، نشتكي اليوم فنقول ماذا؟ إذا غاب الطفل عنا فعل ما فعل، صحيح أم لا؟ وأمام والده قد لا يتجرأ أن يفعل مثل هذه الأمور، فلماذا؟ قد يكون الطفل نعم يتحمل جزءًا من المشكلة لكن كذلك قد يكون الأب أو الأم يتحملون شيئا من مثل هذه المشكلة معه ويشاركونه فيها؛ لأننا غفلنا عنهم.

ذكر ابن سعد في الطبقات عن أم سُلَيْم –رضي الله عنها– أم سليم بنت ملحان –رضي الله عنها– والدة أنس بن مالك، إنها كانت تعلم ابنها أنس وعمره سنتان، تعلمه الشهادتان؛ بالرغم من أن والده كان لا يرضى بذلك وأنه كان يقول لها: لماذا تفسدين عليَّ ولدي؛ لأن كانت في بداية الإسلام في بداية ظهور دعوة النبي –صلى الله عليه وسلم– وانتقاله إلى المدينة، والأمر غريب على الناس، فانظر إلى هذه الأم الصالحة تغرس في نفس ولدها وهو طفل صغير معنى الشهادتين وتحبب إليه النبي –صلى الله عليه وسلم– وتأخذه تحمله إلى النبي –صلى الله عليه وسلم– وتقول له: "هذا أنس، يخدمك يا رسول الله" فانظر إلى هذه

الإيمانيات وانظر إلى هذه الأجواء التي يعيشها هذا الطفل، بالله عليكم مثل هذه الأجواء هل تُنشئ شابًا فاسدا أم شابًا صالحًا؟ يعني كم من أمٍّ كانت سببا في هداية ولدها وكانت سببًا في صلاح أسرتها.

ونحن نعلم وكلنا يعلم كم من الأئمة وفقهاء هذا الدين نشؤوا على أيدي أمهاتهم. هذا الإمام مالك، وهذا الإمام الشافعي، وهذا الإمام أحمد بن حنبل (رحمة الله عليهم أجمعين) كلهم نشؤوا أيتام، ربتهم أمهاتهم؛ لكنهم كانوا عن ألف رجل.

عجزت النساء أن تلد، لا نقول عجزت؛ لكن قلَّ من النساء من تخرج لنا مثل هؤلاء الأئمة، أئمة هذا الدين، تأخذهم أمهاتهم وهم أطفالٌ صغار يأخذونهم إلى المعلم؛ ليعلمهم وليؤدبهم وليحفّظهم كتاب الله (عز وجل) مع شدة فقرهم وشدة حاجتهم وشدة يعني احتياجهم للمال واحتياجهم لأن يعمل هذا الولد فضلا على أن يسلك المسلك الشرعي والدراسة والعلم الشرعي، كما قال بعضهم للشافعي قال: لو أنك اشتغلت بما يعود عليك من حرفة أو صنعة كان أولى بك من أن تتعلم هذا العلم الشرعي؛ لكن الله -عز وجل- شاء له أن ينشأ تنشئة صالحة على يد هذه الأم الفاضلة التي ربته وكبرته ونشّأت من هذا الولد إمامًا من الأئمة (رحمة الله عليهم أجمعين).

هذا أيها الإخوة السبب الأول، ولا نريد أن نطيل في ذكر هذه الأسباب؛ إنما هي إطلالات على بعض هذه الأسباب.

من الأسباب كذلك التي ينبغي للمسلم أن يلتفت إليها وهي: ذكر الله -سبحانه وتعالى- وأعظم هذا الذكر كتاب الله -عز وجل- والاهتمام بكتاب الله -سبحانه وتعالى-.

تنشئة الأطفال وتنشئة الأم وتنشئة الأب نفسه، أن يعوّد نفسه على كتاب الله -عز وجل- بقراءته، بتدبره، بتأمُّل هذا القرآن العظيم الذي أنزله الله -عز وجل- علينا ﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾[ص:29]، ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي

لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾[الإسراء:9]، ﴿وَأَنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾[الإسراء:10].

الله –سبحانه وتعالى– يبين لنا أن هذا الكتاب العظيم يرشد ويهدي ويدل إلى التي هي أقوم، إلى ما فيه الخير، إلى ما فيه الصلاح، إلى ما فيه الاستقرار وطمأنينة الأسر. ذكْر الله –سبحانه وتعالى– كذلك بينه النبي –صلى الله عليه وسلم– وذكر لنا وبين وقال: « مثلُ الَّذي يذكُرُ ربَّه والَّذي لا يذكُرُ ربَّه مثلُ الحيِّ والميِّتِ »[1]. أسرة تذْكُرُ ربها والبيت عامر بذكْر الله وبتلاوة القرآن وبتدبر كلام الله –سبحانه وتعالى– وأسرة أخرى غافلة لاهية فيما يلهون فيه من غناء ومما شابهه من منكرات، هل يستويان؟ لا يستوي هذا وذاك.

ثم نأتي ونشتكي من سلوك بعض الأبناء، نحن الذين كنا السبب في مثل هذا الأمر الذي جرّ الأولاد وجرّ الأبناء إلى مثل هذه التنشئة؛ فإن نشّأناهم على كتاب الله –عز وجل– نشّأناهم على ذكر الله –سبحانه وتعالى– بإذن الله. فلنُبْشر ولنسعد بحياة مطمئنة هادئة مستقرة، يدخل الأب إلى بيته، البعض إذا دخل إلى بيته قد لا يتلفظ حتى بالسلام، مباشرةً إن دخل بيته كما يقولون يُرعد ويزمجر ويصيح على فلان ويلعن فلان.

بمثل هذا الأب أو بمثل هذه الأم التي لا تعرف كيف تتعامل مع أبناءها لا يمكن أن تسعد الأسرة وتطمئن، إن دخل الرجل إلى بيته وألقى التحية وألقى السلام على أهله وأسرته، قال الشيطان مباشرة ماذا؟ "لا مبيت لكم ولا عشاء" أمّا أبٌ يدخل إلى بيته من غير ذكر لله –عز وجل– فهنا يسعد الشيطان ويأنس بأنه سيبيت عندهم ويتعشى معهم ويفسد عشرتهم، تقول المرأة: نحن ولله الحمد ليس بيننا خلافات إلا هذه الخلافات التي حصلت الآن، تسألها: كيف حالكم أنتم في بيتكم؟ ماذا يفعل الزوج؟ ماذا تفعلين أنتِ؟

---

[1] صحيح البخاري (6407).

تـراهم بعيـدين عـن الله –عـز وجـل– ثم يريـدون ألا يحصـل إشـكال، أنـتم سمحـتم بـدخول الأعداء إلى بيتكم.

إذا دخل الرجلُ من غير ذكر لله –سبحانه وتعالى– عفوا إذا دخل يدخل معه الشيطان فيفسد ويأتي بما يأتي به من التفرقة بين هذه الأسرة ولكن إن دخل وذكر اسم الله –عز وجل– قال: "لا مبيت لكم ولا عشاء".

قراءة القرآن في البيت، البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة تنفر منه الشياطين، من منا يحافظ على سورة البقرة مرة تلو أخرى في بيته؛ ليطرد منه هذه الأمور التي تكون سببًا في تفرقة أهل البيت وإثارة النزاعات والخلافات بين أفراد هذه الأسرة.

مهما تكلمنا ومهما ذكرنا في فضل ذكر الله –سبحانه وتعالى– فلن نعطيه حقه فذكر الله –سبحانه وتعالى– أمر عظيم كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يسير مع أصحابه كما جاء في حديث أبي هريرة –رضي الله عنه–، يسير مع أصحابه في طريق مكة فمر بجانب جبل يقال له جُمْدان، فقال النبي –صلى الله عليه وسلم–: « سِيروا . هذا جُمْدانُ . سبقَ المفرِّدونَ قالوا : وما المفَرِّدونَ ؟ يا رسولَ اللهِ ! قال الذَّاكرون اللهَ كثيرًا ، والذَّاكراتُ »[1].

ذكر أهل العلم –رحمهم الله تعالى– نكتة لطيفة في سبب ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– لقوله: «سبق المفردون» بعد ذكره لهذا الجبل الذي مروا بجانبه، قالوا: في مرور النبي –صلى الله عليه وسلم– بجانب هذا الجبل، قال: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ» يعني هذا الجبل اسمه هذا، «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ».

قالوا: في إشارة النبي –صلى الله عليه وسلم– لهذا الجبل وما فيه من رسوخ وثبوت واستقرار، قالوا: فهكذا حال الذاكر لله –عز وجل– لا يشغله شيء عن ذكر الله، فهو ثابتٌ، راسخٌ، عارفٌ بما يؤول إليه ذكر الله –عز وجل– من سعادة ومن صلاح لنفسه ولأسرته ولمن معه. فإذن هذه أول فائدة.

---

[1] صحيح مسلم (2676).

قالوا: الفائدة الثانية حينما مرّ النبي -صلى الله عليه وسلم- بجانب هذا الجبل وجده جبلا أعزل ليس بجانبه جبلٌ آخر، وهكذا حال الذاكر لله عز وجل، يجلس مع الناس بجسده لكنه يلهج لسانه بذكر الله -عز وجل-، فقلبه مع الله وجسده مع الناس.

هكذا الذاكر لله -سبحانه وتعالى- فالذاكر لله -عز وجل- وحيدٌ بين الناس، يذكر الله -سبحانه وتعالى- ويتشبّث بما عند الله -عز وجل- من الأجور العظيمة، على خلاف كثير من الناس؛ فإذًا ذكر الله -سبحانه وتعالى- له فضائل عظيمة، وله مناقب عديدة بينها نبينا -صلى الله عليه وسلم- في كتابه ومن الأمور التي يذكرها أهل العلم في هذا يقولون: مثلاً قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: « مَن قرَأَ بالآيتَينِ مِن آخرِ سورةِ البقرةِ في ليلةٍ كفَتاه »[1].

من أي شيء، كفتاه من كل شر، كفتاه من كل ما ينغص عليه حياته، كفتاه من كل ما يكدر عليه صفو عيشه، فمحافظة المسلم على ذكر الله -عز وجل- من أذكار الصباح، من أذكار المساء، إذا خرج من بيته عوّد أبناءه عوّد أطفاله على أن يقولوا: "بسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله" فما بالك برجل قد هُدي وكُفي ووقي، فذكر الله -سبحانه وتعالى- له فضائل عظيمة ولها مناقب كثيرة لابد أن يحرص عليها المسلم، فشتان بين أسرة تحافظ على ذكر الله -عز وجل- فهي هادئة مطمئنة مستقرة، وأسرة غافلة لاهية عن ذكر الله ثم تنشد صلاح واستقرار وطمأنينة الأسرة، شتان بينهما.

من الأسباب كذلك التي تعين على طمأنينة الأسر وطمأنينة البيوت معرفة كل من الزوجين لحقوق بعضهما البعض، تعرف المرأة حق زوجها، ويعرف الرجل حق امرأته، ويعرف الأطفال حق آباءهم، ويعرف الآباء حقوق أبناءهم.

فلا هذا يعتدي على هذه الحقوق ولا ذاك يقصر في جانب هذه الحقوق؛ بل كلٌّ منهم يؤدي حقه كما بينه النبي -صلى الله عليه وسلم- وبنظرة سريعة إلى ما أخبر عنه النبي -

[1] صحيح البخاري (5008).

صلى الله عليه وسلم- نجد أن الشريعة لم تلغي ولم تهمل هذا الجانب؛ بل أكّدت عليه ونبهت إليه أيما تأكيد وأيما تنبيه.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: « استوصُوا بالنساءِ ، فإنَّ المرأةَ خُلقتْ من ضِلعٍ ، وإنَّ أعوجَ شيءٍ في الضِّلعِ أعلاه ، فإن ذهبتَ تقيمُه كسرتَه ، وإن تركتَه لم يزلْ أعوجَ ، فاستوصُوا بالنِّساءِ »[1]. فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يبين لك أيها الرجل أن المرأة قد يصدر منها ما يصدر وهذا من طبيعة المرأة، فأنت الذي لك القوامة، وأنت الذي لك الرعاية؛ فعليك أن تكون أنت قائد وربان هذه السفينة التي بفضل الله ثم بجهودك أنت وبتعاونك مع أفراد أسرتك تصلون بها إلى برّ الأمان.

كذلك المرأة يجب عليها أن تراعي مثل هذه الحقوق، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: « لَوْ كُنْتُ آمِرًا أحدًا أنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ ؛ لأَمَرْتُ المرأةَ أنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِها »[2].

كم من امرأة تبيت وزوجها غضبان؟ قد يكون هو السبب، نعم؛ لكن أين دورك أنتِ؟ أين صبرك أنتِ؟ فأنتِ التي تحملين القلب الكبير والعاطفة العظيمة، فهل وسعت العاطفة غير الزوج، ولم تسع هذا الزواج؟ فنقول: إن أردتِ صلاح نفسك وصلاح أسرتك فعليكِ بأن تشملي هذا الزوج وهؤلاء الأبناء بهذه العاطفة العظيمة التي جبلك الله عليها.

النبي -صلى الله عليه وسلم- يقول: « إذا صَلَّتْ المرأةُ خمسَها ، [وصامَتْ شَهْرَها] ، وحَصَّنَتْ فَرْجَها ، وأَطَاعَتْ بَعْلَها » وأطاعت بعلها؛ يعني زوجها، « دخلَتْ من أَيِّ أبوابِ الجنةِ شاءَتْ »[3].

ويقول -صلى الله عليه وسلم-: « أَلَا أُخْبِرُكُمْ بنسائِكم مِنْ أهلِ الجنةِ ؟ الودودُ الولودُ ، العؤودُ ».

---

[1] صحيح البخاري (3331).

[2] السلسلة الصحيحة (3366).

[3] صحيح الترغيب (2411).

يعني التي تعود على زوجها بالنفع، « التي إذا ظُلِمَتْ قالت : هذه يدي في يدِكَ ، لا أذوقُ غُمْضًا حتى تَرْضَى »[1].

هكذا صفة المرأة الصالحة التي تريد سعادة نفسها وسعادة أسرتها، كثيرٌ من النساء تقول الرجل لا يسمعني، الرجل لا يتفهمني، الرجل لا يعطيني فرصة أن أتكلم، نقول: وأين ذهب هذا القلب الكبير الذي أعطاكِ له ربك -سبحانه وتعالى-، أليس هذا مجاله؟

أليس الآن الواجب عليكِ أنتِ التي تتحملين مثل هذه الأمور.

الحياة الزوجية إن لم يكن فيها تنازلات من قبل الرجل ومن قبل المرأة لا يمكن أن تستقر يا إخوة، ولا يمكن أن تستقيم، ولا يمكن استقامتها إلا بطاعة الله -سبحانه وتعالى- وإتباع شرعه -عز وجل-.

يقول الإمام أحمد -رحمة الله عليه- كما حكاه تلميذه المروزي -رحمة الله عليه- يقول: حينما ماتت أم صالح زوجة الإمام أحمد الأولى، حينما ماتت قال: سمعت أحمد -رحمه الله- يذكرها بخير، ويترحم عليها، ويقول: رحم الله أم صالح مكثت معها عشرين عامًا ما اختلفت أنا وهي في كلمة، أعيدها؟ "يقول: رحم الله أم صالح مكثت معها عشرين عامًا" انظروا يا إخوة ليس عشرين يوم، ولا هي عشرين دقيقة، ولا هي عشرين ثانية، "مكثت معها عشرين عامًا، ما اختلفت معها في كلمة" هذا إمام أهل السنة الذي قد يتحمل ولديه من المشاغل ومن الدروس ومن أسئلة الناس ومن ومن، حدّث ولا حرج، متى تفرغ لامرأته حتى أنه لا يختلف معها؟؛ تقوى الله -سبحانه وتعالى-، طاعة الله -عز وجل-، إتباع شرع النبي -صلى الله عليه وسلم- هذا الذي أثمر مثل هذه الثمرة، واليوم نجد الشخص قد يمكث مع المرأة عشرين يوما، فتجد عشرين خلافًا بينهما، في كل يوم خلاف أو خلافين، لا يمكن أن يستقيم معها في يوم واحد بدون خلاف، لماذا؟ ثم يقولون: نحن ولله الحمد متّبعون وليس عندنا تقصير، كلا لابد أن يكون هناك تقصير، ولابد أن يكون هناك أمرٌ لم تنتبه له، فما

[1] صحيح الجامع (2604).

من عقوبة إلا بذنب، ما من خلاف ولا من شر يحصل في البيت، لا ولابد أن تبحث له عن سبب قد يكون منك أنت. يقول بعض السلف: "إني لأعرف ذنبي من خلق زوجتي ومن دابتي".

انظروا يا أيها الإخوة نقول لماذا صلح السلف –رضوان الله عليه–؟ لماذا كانت بيوتهم مستقرة؟ لماذا كانت بيوتهم مطمئنة؟ لماذا نحن لسنا كمثل هؤلاء الذين لمع لجمهم، والذين سطع نورهم –رضوان الله عليهم– لماذا؟

نقول؛ لأن أولئك كانوا متبعين لشرع الله –عز وجل– غير مقصرين، غير مفرطين في اتباع شرع النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ ولكن حينما دخل على الناس قلة الإتباع والتقصير والتفريط في جناب طاعة الله –عز وجل– حصل بينهم من الخلاف والشر ما حصل، فالعبرة أيها الإخوة أن يراجع الإنسان نفسه، إن حصل تقصير أو حصل خلاف أو حصل شيء في بيت مطمئن، فابحث عن العلاج في نفسك، فقد تكون أنت الذي تسبّبت، أو قد تكوني أنتِ أيها المرأة قد تسببتِ، "إني لأعرف ذنبي بخُلق زوجتي وبخلق دابتي" حتى الدابة تستعصي عليه، جاء فرضا ليركبها فوجدها لا تطيعه، فيقول: هذا بسبب ذنبٍ قد ارتكبته ونسيته وغفلت عنه ولكن الله –عز وجل– ليس بغافل عنه، فاحذر وانتبه وتُب طالما أنّ المجال للتوبة مفتوح والله –سبحانه وتعالى– يقبل توبة عبده ويُقْبل عليك إن تقرّبْت إليه شبرًا يتقرّب إليك باعًا، وإن مشيت إليه أتاك هرولة –عز وجل– فباب التوبة مفتوح وباب الندم لم يُسد ولله الحمد والله –عز وجل– يقبل توبة العبد مهما كان ذنبه.

النبي –صلى الله عليه وسلم– قال عن ربه –عز وجل– قال: « أنا عندَ ظنِّ عبدي بي ، وأنا معه إذا ذكَرَني ، فإن ذَكَرَني في نفسِه ذكرتُه في نفسي ، وإن ذكَرَني في ملأٍ ذكرتُه في ملأٍ خيرٌ منهم ، وإن تقرَّبَ إليَّ شبرًا تقرَّبتُ إليه ذراعًا ، وإن تقرَّبَ إليَّ ذراعًا تقرَّبتُ إليه باعًا

، وإن أتاني يمشي أتيتُه هرْولةً »[1] ، فالنبي –صلى الله عليه وسلم– قد بيّن هذه الأمور في سنته –صلى الله عليه وسلم– وربنا –عز وجل– بينها في كتابه أيما بيان.

من الأسباب كذلك أيها الإخوة، الرفق بالأسرة وحسن المعاشرة، فاعلم أيها الزوج واعلمي أيتها المرأة أن كل واحد منكما لباس وستر للآخر.

قال الله –عز وجل– ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾ [البقرة:187]، وقال –عز وجل–: ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [النساء:19]، وقال –سبحانه وتعالى–: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:228].

يقول ابن عباس –رضي الله عنهما– يقول: "إني أحب أن أتزين لامرأتي كما أحب أن تتزين لي"، فكما أن الرجل يحب من امرأته الشيء الفلاني، فكذلك لابد أن يراعي الرجل كذلك ما يليق به وما يكون من صلاح شأنه ومن صلاح حاله ما يدعو المرأة كذلك إلى محبته وما يدعو المرأة إلى التعلّق به.

فلابد أن يراعي كلٌّ من الزوجين مثل هذه الأمور ولابد أن يكون الرفق هو السائد بينهما، فما كان الرفق كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: « ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زانَه ، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلَّا شانَه »[2]، ويقول –صلى الله عليه وسلم–: « إذا أرادَ اللهُ بأهلِ بيْتٍ خيرًا أدخلَ عليهِمُ الرِّفْقَ »[3].

أيها الأخ المبارك، أيتها الأخت المباركة قد يصدر من الأبناء شيءٌ يستعظمه الأب وتستعظمه الأم، ولا يتصور الأب ذلك فلا يكن مباشرة الحل المباشر منك هو العنف وهو الذي قد يُنفّر منك الأبناء، والرفق كما يقول سفيان –رحمه الله تعالى– "أن يضع الرجل

---

[1] صحيح البخاري (7405).
[2] صحيح الجامع (5654).
[3] صحيح الجامع (303).

الشدة في موضعها واللين في موضعه" فلابد أن يكون يعني أن يراعي الرجل وتراعي المرأة متى يكون اللين ومتى تكون الشدة.

هكذا الذي ينبغي أن يسود في البيت لا أن يكون بمجرد حصول خطأ سواء من الزوجة أو سواء من الزوج أو من الأبناء، أن يكون اللوم والعتاب والعنف هو الأسلوب المباشر لا، لابد أن يكون الرفق هو الذي ساد وعَمَرَ هذا البيت، والنبي -صلى الله عليه وسلم- يرشد عائشة -رضي الله عنها- « يا عائشةُ، إنَّ اللهَ رفيقٌ يحبُّ الرفقَ في الأمرِ كلِّه »[1].

والنبي -صلى الله عليه وسلم- كان رفيقًا رحيمًا بأبنائه، رفيقًا رحيمًا بزوجاته، رفيقًا رحيمًا -صلى الله عليه وسلم- بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم، ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:159].

كم من رجل أراد من امرأته شيئًا فباشرها بطلبٍ فيه رفق وفيه طيب في القول وسماحة في الكلام، فتقبّلت المرأة ذلك بأحسن ما يكون، وكم من امرأةٍ كذلك أرادات من زوجها شيء فطلبت منه بكلام حسن هيّن ليّن فتقبّل منها ذلك، والعكس بالعكس، قد يريد الرجل شيئا ويفرضه فرضا، فنفس البشر تقابل الأمر دائما بالعناد وبعدم التقبل، فلا تتقبل مثل هذه الأمور، « ما كان الرِّفْقُ في شيءٍ إلَّا زانَه ، ولا نُزِعَ من شيءٍ إلَّا شانَه »[2].

حصل خلافٌ بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وزوجته عائشة -رضي الله عنها- فطلب النبي -صلى الله عليه وسلم- من أبي بكر أن يحكم بينهما، فرفعت عائشة (رضي الله عنها) صوتها، فلطمها أبو بكر والدها -رضي الله عنه- وضربها، فاحتمت بالنبي -صلى الله عليه وسلم- وقال: ما لهذا دعوناك يا أبا بكر، انظر الخلاف كان بين النبي —صلى الله عليه وسلم- وعائشة ثم هي تحتمي بمن كان معه الخلاف ويقول ما لهذا دعوناك يا أبا بكر

---

[1] صحيح البخاري (6927).

[2] صحيح الجامع (5654).

والحديث صححه الشيخ الألباني -رحمه الله عليه-، يقول: «ما لهذا دعوناك يا أبا بكر، ثم لما انصرف أبو بكر، قال: أما ترين أني قد حميتك من الرجل»؛ يعني: كان يريد أن يضربك فحميتك من هذا الرجل، «فضحكت عائشة -رضي الله عنها- وضحك النبي -صلى الله عليه وسلم- وانتهى الخلاف، فسمع أبو بكر -رضي الله عنه- صوتهما يضحكان فجاء وقال: ألا تشركاني في سلمكما كما أشركتُماني في حربكما».

انظر إلى الزوج الذي يريد صلاح أسرته، صلاح بيته، طمأنينة نفسه، هل يسعى للرد مباشرة بسرعة وبعنف، يعني لو قال اضربها فهي تستحق ذلك، كما يفعل بعض الأزواج الآن، وماذا استفدت أنت؟ هل تريد خسارة هذه الزوجة الصالحة؟ يقول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «لا يفرك» يعني: لا يبغض « لا يفرَكْ مؤمنٌ مؤمنةً، إن كرِهَ منْها خُلقًا رضِيَ منْها آخرَ أو قال: غيرَهُ »[1].

هي تربي أولادك وهي تقوم على شؤون بيتك، وهي التي إذا غبت عنها حفظت مالك وحفظت بيتك، وهي التي تقوم برعاية أبناءك وبتدريسهم وبتحفيظهم وبتعليمهم، ثم لا يتحمل الواحد منا أدنى كلمة؟ كلا والله، لابد أن يتسع صدر المسلم لأكثر من هذا، نحن لا ندعو بمثل هذا الأمر لأن تتمرد المرأة أو تتجاوز حدودها مع الرجل، كلا والله، فلابد أن تعلم المرأة وتعلم أن جنتها ونارها في طاعة زوجها كما قال النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما سأل المرأة وقال لها: « فانظُري أين أنتِ منه ؛ فإنه جنَّتُكِ ونارُكِ »[2].

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- يوازن بين هذه الحقوق، انظر إليه -صلى الله عليه وسلم-: «بينما هو جالس مع عائشة -رضي الله عنها- إذا بالباب يطرق فيأتي خادم من عند زينب زوجة النبي -صلى الله عليه وسلم- وإذا هي قد أرسلت الحيث»، يعني نوع من الأكل من التمر الذي كان يأكله أهل المدينة، «فأرسلت هذا الحيث إلى بيت النبي -صلى

---

[1] صحيح مسلم (1469).

[2] صحيح الترغيب (1933).

الله عليه وسلم- بيت عائشة، فلما رأت عائشة -رضي الله عنها- هذا الصحن أو هذه القصعة أخذتها فضربتها فكسرتها».

فماذا فعل النبي -صلى الله عليه وسلم-؟ «أخذ يجمع الفلقتين التي قد كسرت ويقول كلوا غارت أمكم، غارت أمكم، ثم قال خذْ هذا الصحن مقابل هذا الصحن» وانتهى الأمر.

لو فُعل مثل هذا الأمر في زماننا وفي بيت أحد منا لقالت للرجل كيف تفعل هذا وأنا من أنا؟ وكيف تمد يدها وترتكب مثل هذه الأمور وأنا الرجل وأنا الذي أقوم على شؤون البيت، وهذا كسر لكلامي، وهذا كذا إلى آخر ما يقوله ثم تكبر المسألة وتنتهي بطرد المرأة من بيتها وغيرها من الأمور.

انظر إلى نبيك -صلى الله عليه وسلم- وهو قائد هذه الأمة وهو أفضل خلق الله -عز وجل- كيف يتصرف في مثل هذه الأمور؟ وكيف يعالج مثل هذه الأخطاء؟ نحن لا نلقي باللوم دائمًا على الرجل؛ لكن نقول الرجل هو القوّام على شؤون البيت، هو الذي بيده دفة السفينة، فإن قادها وسيطر عليها فأنت الذي قد أعطاك الله -عز وجل- زمام هذه الأمور، والمرأة كذلك تُطالب بأداء هذه الحقوق وبطاعة الزوج وعدم النشوز عنه، وعدم التمرد عليه؛ بل لابد عليها أن تكون مطيعة لزوجها بارة به.

ونقف وقفة أخيرة مع سبب أخير، ولا نريد أن نطيل عليكم وقد أطلنا، نقول إنّ من سعادة الأسر كذلك ومن صلاحها وطمأنينتها واستقرارها لزوم سُنة النبي -صلى الله عليه سلم- واتباع ما دلّ عليه -عليه الصلاة والسلام-، وما أرشدنا إليه -صلى الله عليه وسلم- ، والبعد واجتناب البدع والشركيّات فإنها من أهم أسباب تفرّق الأسر، والشؤم الذي قد يحل بالأسر، والخلل الذي يتطرّق إليها، فلابد للمسلم أن يراعي هذا الجانب ويحذر أيما حذر من دخول البدع إلى بيته ودخول مخالفة النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى هذه الأسرة التي يحيطها برعايته وبنظره.

يقول عبد الله بن شوْذب -رحمه الله تعالى-: "إن من نعمة الله على الحدث (يعني: الشاب الصغير) والأعجمي إذا نسك أنْ يواخي صاحب سنة يدلّه عليها"، أنت أيها الأب هذا الولد الذي معك لابد أن تُنشئه تنشئة صالحة إيمانية وتجنبه في نفس الوقت البدع والمنكرات، فكم من بدعة دمرت أسر، وكم من بدعة كانت شؤمًا على كثير من الأسر، وها نحن نرى و نسمع بآذاننا، أبٌ لم ينتبه لمثل هذه الأمور إنما ركّز ـوجزاه الله خيراـ على صلاح ولده وتحفيظه القرآن وتعليمه الصلاة، لكنه غفل عن جانب البدع، فتسرّبت البدع إلى أذهان بعض الشباب، فخرج بعنوان "جهاد في كذا" أو خرج إلى ما يسمونه بمسمّيات من جهاد أو من نحو ذلك من المسمّيات فيخرج مع طائفة فلانية ويزعم أنه يقاتل ويحمل السلاح وغيره.

والأم قد تقطع قلبها، ويعني ذهب دمعها من كثرة ما تبكي على ولدها أحيٌّ هو أو ميت، تتشتت الأسرة وتتفرق بسبب هذا الولد الذي قد تسرّبت إليه شيء من هذه الأمور الحزبية التي ينادي بها بعض الناس من جهاد مزعوم من أمور مخالفة لدين الله -عز وجل- من عقوق للوالدين، يذهب فيقول: أنا أجاهد وأنا أذهب إلى كذا، أليس الجهاد قد فرض الله -عز وجل- فيه عليك أن تطيع والديك، «جاءَ رجلٌ إلى نبيِّ اللهِ فاستأذَنَهُ في الجهادِ فقالَ: أحيٌّ والداكَ ؟ قال: نعَم قال: ففيهِما فجاهِدْ»[1].

اذهب ففيهما فجاهد، واليوم بعض الشباب ممن تتسرب إليه هذه الحزبيات وهذه الأمور التي هي من البدع والمنكرات التي تتسرب إلى أذهان بعض الشباب، يخرجوا إلى دولة فلانية ويقول: أنا أذهب للجهاد، وإذا به يقتل أخاه المسلم، مسلمٌ يقتل مسلمًا، يذهبون في طائرة واحدة ثم يذهب هذا مع هذه الجماعة وذاك مع هذه الجماعة ويلتقيان في الصف ويقتل هذا ذاك، ويقتل هذا أخاه.

---

[1] غاية المرام (281).

والأم قد تقطّع قلبها وتدعو على من كان سببا في انحراف ولدها، والأب قد ذهب يمنة ويسرة يدعو فلان ويطلب فلان حتى يعيد ابنه وحتى يرجعوه إلى حضنه.

فهذا لا شك أيها الإخوة، هذا لاشك بأنه من أسباب دخول الشر على هذه الأسر، لابد من الأب ولابد من الأم أن تكون حريصة وأن يكون الأب حريص على تعليم أبناءهم سنة النبي -صلى الله عليه وسلم- وتحذيرهم من شؤم البدع ولا نتساهل ولا نتوانى في موضوع البدع، فكثير من الناس قد يقول دعه الولد يمشي في جانب المعاصي وهذا للأسف موجود عند البعض ونقولها للأسف يقول: دعه فليمشي في هذا الجانب ولا يكون من هؤلاء الذين قد يعني يسمونهم المطاوعة أو غيره من هذه الأمور، فيأتي ببعض الأشياء نقول لا دعه فليفهم كلام الله -سبحانه وتعالى- واحذر وحذّره من البدع التي تدعوه إلى الخروج على ولي أمره، الخروج عن طاعة والديه، قتل المسلمين، تكفير وسفك دماء المسلمين الأبرياء من دون حق، لابد أن تعلمه ولابد أن تبيّن له؛ لأنّا نرى كثير ممن انخرط مع هذه الجماعات الحزبية التي تخالف شرع الله -عز وجل- كثير منهم كان سائر في درب المعاصي بل والمخدرات.

ينتشلونهم انتشالاً؛ لأنه فارغ القلب، ليس في قلبه شيء من العلم، ليس في ذهنه شيء من سنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- فيعبِّئون هذا الفراغ بماذا؟ بهذه البدع الحزبية التي يروّجون لها، وبأنك تريد الجنة أحمل السلاح واذهب إلى المنطقة الفلانية واقتل أو قاتل وستكون من أهل الجنة بل من أهل الفردوس، ويقتل مسلم مثله.

كثير من الآباء قد يتساهل إن رأى ولده مشى في درب المعاصي فيقول أفضل دعه في جانب المعاصي لا، نقول: لا تكن سببا وعونا للشيطان على ولدك، علّمه، بيّن له، ثقفه في سُنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم-، علمه السُنّة؛ لأن التدين أيها الإخوة أمر فطري في الناس، لا تغتر ببعض الناس تجده في أحضان المنكرات والمعاصي والمخدرات وغيرها، لا تستهن به فقد يكون يحمل في قلبه شيئًا من الإيمان فيأتي أحد هؤلاء الدعاة الحزبية أو غيرهم من أهل البدع فينمّي هذا الإيمان الذي في قلبه فيشعله، بماذا؟ بظلمة البدع واضح.

فلا تستهن بمثل هؤلاء بل بيّن لهم وعلمهم سُنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ولا تكن عونًا للشيطان عليهم، أنشر سُنة المصطفى -صلى الله عليه وسلم- فهو دين الخير ودين الرحمة للناس، ودين الخير للبشرية كلها -صلى الله عليه وسلم- بُعثْتُ بالحنيفية السمحة، بُعث النبي -صلى الله عليه وسلم- بمكارم الأخلاق، بُعث النبي -صلى الله عليه وسلم- بما يحبب الناس في هذا الدين.

كثير من العرب دخل في الإسلام من غير دعوة ومن غير سيف، وإنما أحبّوا هذا الدين، قالوا: إن كان هذا الدين هذا خلق أصحابه، فَنِعمّا هذا الدين وأكرم به من دين، صحابة النبي -صلى الله عليه وسلم- كانوا عنوان خير وعنوان سعادة للبشرية كلها، والله انتشر الإسلام في أصقاع الأرض، انتشر يمنة ويسرة من إقبال الناس على هذا الدين؛ لما رأوا من سماحة هذا الدين ومن علو هذا الدين ومن ترفع أصحابه عن سفاسف الأمور، وتعاليهم عن ما يغضب الله -سبحانه وتعالى- ونشرهم للعدل وللأخلاق الفاضلة وللأخلاق السمحة، هذا الذي حبب الناس في هذا الدين وعلمهم تعاليم شرع النبي -صلى الله عليه وسلم-.

نسأل الله -عز وجل- أن يَمُنّ علينا بإتباع السُنة وأن يوفقنا وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يجعل ما نقوله حجّة لنا لا علينا وأن يجعل أيامنا ورمضان هذا رمضان يعود علينا أعواما عديدة وأزمنة مديدة وأن يتقبله منا وأن يعيننا ويوفقنا وإياكم لكل خير.

هذا وبالله التوفيق، وصلَّى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

شبكة بينونة للعلوم الشرعية

نعتني بنقل العلم الشرعي في دولة

الإمارات العربية المتحدة